

التماسك النصي في شعر الشيخ محمد مفتاح قريو*

قصيدة مزايا مصراتة*أمودجًا

د. حنان محمد ضياء الدين فنيخرة**

ملخص البحث:

إنّ هذا البحث محاولة لدراسة قصيدة مزايا مصراتة من شعر الشيخ محمد مفتاح قريو-رحمه الله-بمنهج لغوي حديث هو (المنهج النصي)؛ فقد توجّه البحث اللغويّ مؤخرًا إلى تحليل النصوص بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل، ليتخطى بذلك حدود الجملة إلى محيط النص؛ فاجتاز الجملة وعزلها عن سياقها في النص يُعدّ قصورًا في الدّراسة اللّغوية؛ ذلك أن النص ليس بناء لغويًا فحسب، بل هو تفاعل بين (مُخاطَب ومُخاطَب) يتم عبر نصوص تحكمها آليات نحوية وغير نحوية، على أن للآليات النحوية مقامًا مهمًا وأساسيًا في صياغة النص، من حيث البناء السطحي من جهة، ومن حيث البنية المفهومية من جهة أخرى، واقتضت مقتضيات التناول الدراسي للموضوع أن يكون البحث على تمهيد تعريف، وأربعة مطالب؛ مطلبين نظريين، ومطلبين تطبيقيين؛ تناول التمهيد التعريف بمصطلح النص، وبيان مفهومه، والفرق بينه وبين الخطاب، وتعريف مصطلح التماسك لغة واصطلاحًا. أما المطلب الأول: فتناول وسائل التماسك الشكلي (Cohesion) نظريًا، وتناول المطلب الثاني وسائل التماسك الدلالي (Coherence) نظريًا أيضًا، وكان المطلب الثالث لبيان صور التماسك النصي الشكلي في القصيدة، أما المطلب الرابع فليبيان وسائل التماسك الدلالي في القصيدة مجال الدراسة.

وقد خلص البحث لعدد من النتائج، من أهمها ارتفاع درجة النصية في القصيدة، حيث شكلت آليات التماسك الشكلي على رأسها الإحالة ملمحًا بارزًا في تصاعد النصية داخل النص، تلاها التكرار والتضام، ثم الربط بالأداة، في حين تمثلت العلاقات الدلالية في الإجمال والتفصيل.

* محمد مفتاح قريو: ولد في مدينة مصراتة عام: 1932م، وفيها توفي عام: 2000م، أخذ تعليمه الأولي بالمعهد الأسري ثم عمل به مدرساً ثم بالمعهد الزروقي، وتخرج في الجامعة الإسلامية في مدينة البيضاء، محرراً للشهادة العالمية، ثم عاد إلى مدينة مصراتة، وهناك عمل في معهد القويبي الديني، ثم في معهد مصراتة الديني. له العديد من الآثار العلمية، ليس له ديوان منشور؛ بل له قصائد منشورة في كتبه ومخطوطاته، يُنظَر: مصطفى عبدالرحيم أبو عجيل، زاوية الإمام أحمد زروق، ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا، مصراتة، 2001م، 139/2-152.

** هذه القصيدة مثبتة في موقع معجم الباطنين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=6905، الخميس: 19 يوليو 2018م الساعة 10 مساءً.

** كلية التربية - جامعة مصراتة

تمهيد تعريفي

1. مفهوم النص:

يرى هاليداي ورقية حسن أن كلمة النص تستخدم في علم اللغة للإشارة إلى فقرة منطوقة أو مكتوبة مهما طالت أو قصرت، وهو وحدة دلالية؛ فالنص يتحدد باكتمال وحدته المعنوية⁽¹⁾؛ فهما يُعدَّان كل ملفوظ أو مكتوب مهما كان حجمه نصًّا؛ فالاعتداد ليس بالامتداد الطولي للنص؛ بل بالأبنية الكبرى المتلاحمة داخليًّا، التي يقدمها النص.

في حين يربط بعض الباحثين النصية بالترابط، وأنه "المعيار الأكثر أهمية؛ لتحديد وحدة النص"⁽²⁾، فالنص "نسيج من الكلمات يترايط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كلِّ واحدٍ"⁽³⁾، وُصِّدت النصية باجتماع سبعة معايير، هي: الربط، والتماسك، والقصدية، والمقبولية، والإجبارية، والموقفية، والتناص⁽⁴⁾. فالنص لكي يشكل وحدة لا بد أن يكون منسجماً؛ وخاصية الانسجام تولد النظرة الكلية للنص، دون الفصل بين أجزائه، وهو ما يجعله يظهر كنسيج واحد وبنية كلية.

3. التماسك: لغة واصطلاحًا:

التماسك في مفهوم أهل اللغة يتناول معاني الشد والربط والصلابة والمتانة، وترابط الأجزاء ببعضها فـ "المسكُ و المسكَّةُ ما يمسك الأبدان من الطعام والشراب، وقيل: ما يتبلغ به منهما، ... وفي حديث ابن أبي هالة في صفة النبي: ﴿ﷺ﴾ بادنُّ متماسكٌ؛ أراد أنه مع بدانته متماسك اللحم ليس بمسترخيه ولا منفضجه، أي أنه معتدل الخلق كأن أعضائه يمسك بعضها بعضًا، ويقال رجل ذو مُسكة ومُسكٍ، أي: رأي وعقل يَرِجِعُ إليه... وأمسك الشيء: حبسه"⁽⁵⁾.

والتماسك النصي (Textual Coherence) هو أحدُ المصطلحات التي أفرزها هذا الاتجاه الذي ظهرَ في سبعينيات القرن الماضي؛ بوصفها الشرط الرئيس لكون كلامٍ معينٍ نصًّا، فبها تُفَرِّق بين النصِّ

(1) يُنظَرُ: محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص: 13. شريفة بلحوت، الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (cohesion in English) لـ م.ا.ك هاليداي ورقية حسن، ماجستير في الترجمة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2005م، ص66. الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، المركز الثقافي العربي، 1993م، ص15.

(2) - منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004م، ص145.

(3) - الأزهر الزناد، نسيج النص، ص12.

(4) - يُنظَرُ: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2007م، ص103 وما بعدها.

(5) - ابن منظور، لسان العرب، مادة (مسك)، تح: عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، 4204/6.

واللانص؛ بل هي معيار جوهري من معايير بنية أي نص، والمقصود به في علم اللغة الحديث التلاحم والترابط بين أجزاء النص الواحد، بحيث توجد علاقة بين كل مكون من مكونات النص وبقية أجزائه، وهو ما يجعله نسيجاً واحداً متلاحماً، تحكمه علاقات لفظية ومعنوية، تتحقق فيه علاقات القصد والخلفية المعرفية بالمبدع والمتلقي، وقد عرّف بأنه: "العلاقات اللفظية أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية من ناحية، والنص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى"⁽¹⁾.

فالتماسك هو الكيفية التي تمكن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النص، ومعه يصبح النص وحدة اتصالية متجانسة. وعليه فلا بد من ملاحظة التفاعل المتبادل بين النص والقارئ؛ لأنّ القارئ يصنع جسر التواصل بين أفكار النص.

وللنص أدوات متنوعة تسهم في تماسكه؛ فكل نص له خصوصيته التي تخلق آليات هذا التماسك فيه، ويمكن تقسيمها إجمالاً إلى آيتين، هما:

الأولى: آلية الاتساق، هي ذات طبيعة سطحية شكلية، عبّر عنها علماء نحو النص بمصطلحات متعددة منها: السبك، أو التماسك، أو الاتساق، أو الربط، أو التضام، وهي جميعاً ترجمة لمصطلح (Cohesion).

الثانية: آلية الانسجام، هي ذات طبيعة دلالية، وعبّر عنها النصيون بمصطلحات متعددة أيضاً، منها: الحبك، أو الانسجام، والتماسك والالتحام، والارتباط، والتقارن، وهي ترجمة لمصطلح (Coherence).

ومفهوم الانسجام مرتبط بالقارئ فلا ينجز من دونه؛ بل إنه الكيفية التي تمكن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النص، فهو يمثل المعرفة التي تنقلها بالفعل التعبيرات الواردة في النص في مقابل المعنى الافتراضي الذي يولده التعبير اللغوي أو الإشاري، مما يؤهلها لتمثيل المعرفة وولوج المعنى الاحتمالي⁽²⁾.

ولا يقتصر حصول التماسك على توافر هاتين الخاصيتين فقط، فللسياق دوره في مساعدة القارئ على تفسير ما يقرأه، وعدم اقتصار التماسك على علاقات الترابط بين الجمل والامتاليات فقط؛ لأن ذلك يؤدي إلى تفسير جزئي لمكونات النص بوصفه عملاً كلياً فريداً، وهذه البنية الكبرى لا تؤدي إلى التماسك الكلي فحسب، بل تؤدي أيضاً إلى التماسك الجزئي الذي يتعلق بامتاليات الجمل على المستوى العميق، كما يقضي بهذا النحو التوليدي التحويلي.

(1) - صحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 2000، 96/1.

(2) - يُنظَر: إلهام أبو غزالة، وعلى خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفانجدريسلر، ط 2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص: 120.

التماسك في النص الشعري:

لم يهتم علماء النص الغربيون بظاهرة التماسك في الشعر؛ حيث ركّزوا على نوعين خطائين: "التخاطب، والسرد التقليدي البسيط الذي يسير وفق مجرى حدثي نمطي"⁽¹⁾ إيماناً منهم بخصوصية الشّعر وتجاوزه للنموذج والمعيار، خاصة الشعر الحديث. في حين حاول عدد كبير من الباحثين العرب رصدَ ظاهرة الانسجام في الشّعر الحديث، على رأسهم محمد خطايي في تحليله لقصيدة أدونيس المعنونة بفارس الكلمات الغريبة⁽²⁾.

وللنص الشعري خصوصية، ولكل قصيدة مساقات خاصة، فلا توجد طريقة محددة يمكن الاعتماد عليها للدخول إلى فضاء النص، بل على المفسر أن يحاول اكتشاف نسقتها، والإمساك بأدواتها للولوج منها إلى عالم النص فيها، ولا أجدى حينئذ من المدخل النحوي، فهو أكثر انفتاحاً من أي منهج آخر؛ لأنه يتيح حركة في التطبيق تتوازى مع حرية الشعر نفسه في الإبداع.

المطلب الأول: وسائل التماسك الشكلي (Cohesion) :

يرتبط هذا النوع من التماسك بالعلاقات النحوية والمعجمية بين العناصر الشكلية للنص: لهذا فإنها تُصنف إلى: آليات تماسك نحوية، وآليات تماسك معجمية؛ فهو يهتم بظاهر النص ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي، حيث تسهم كل جملة في فهم ما يليها من جمل أخرى، كما تسهم السابقة في فهم اللاحقة، فلا يتحقق من خلال معاني الأجزاء فحسب، بل من خلال تأثير هذه المعاني في بنية كلية كبرى، ضمن سياق لغوي معين، وفقاً للأعراف والاعتمادات النحوية، وعليه فالتماسك الشكلي يعد معياراً نحويّاً⁽³⁾.

1. آليات التماسك الشكلي النحوية:

1.1 الإحالة (Reference)

هي أكثر أدوات التماسك انتشاراً في النصوص، وتمثل في قسمٍ من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، وهي تقوم على مبدأ التماثل في مقام ما وبين ماهو مذكور بعد ذلك في مقام آخر⁽⁴⁾، مثل: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والإحالة بالمقارنة.

(1) - محمد خطايي، لسانيات النص، ص: 6.

(2) - يُنظَر: المرجع السابق، ص: 209 وما بعدها.

(3) - يُنظَر: إلهام أبو غزالة، وعلى خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 25.

(4) - يُنظَر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 118.

وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين: الإحالة المقامية، والإحالة النصية، وتسمى النصية إحالة داخلية، وفيها يُجِئُ عنصرٌ ما في النص إلى شيء داخل النص، وتتفرع إلى قبلية وبعديّة. أما المقامية فأحالة خارجية، وفيها يُجِئُ عنصرٌ ما من عناصر الإحالة في النص إلى شيء خارج النص يُدرِّكه منتجُ النص ومتلقيه كالأهـما⁽¹⁾.

2.1 الاستبدال (Substitution)

يتم الاستبدال في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات أو عبارات، ومعظم حالات الاستبدال النصي قبلية، وهي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدّم، إذ يتم استبدال المتأخر من المتقدّم، وله ثلاثة صور: استبدال اسمي: يتم باستخدام عناصر لغوية اسمية، مثل: آخر، آخرون، نفس. واستبدال فعلي، واستبدال قولي يتم باستخدام ألفاظ مثل: ذلك، لا، نعم⁽²⁾.

وللاستبدال صور عديدة، منها: استبدال العنصر بلفظه، استبدال العنصر بمرادفه التام، استبدال العنصر بمرادفه الشبيه بالتام، استبدال العنصر بالاسم المطلق أو العام الذي يتضمنه ويحتويه⁽³⁾.

3.1 الحذف (Ellipsis)

يرى هاليداي ورقية حسن أن الحذف علاقة داخلية في النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية، وهو بذلك لا يختلف كثيراً عن الاستبدال، سوى أنّ الحذف لا يترك أثراً في النص، بخلاف الاستبدال الذي يترك أثراً وهو وجود أحد عناصر الاستبدال في النص؛ ولهذا فإنّ المستبدل يبقى مؤشراً يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض⁽⁴⁾.

وقد أجازت العربية حذف أحد العناصر من التركيب إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنياً في الدلالة، كافيّاً في أداء المعنى، مع وجود قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه، وتدلّ عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره⁽⁵⁾.

وللمتلقي دور فاعل في ملء هذا الفراغ الذي أحدثه الحذف الموجود في النص، سواءً أكان ملفوظاً أم ملحوظاً أم استبدالياً.

(1) - يُنظَرُ: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 17.

(2) - يُنظَرُ: المرجع السابق، ص: 20.

(3) - يُنظَرُ: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس 2001م، ص: 143.

(4) - يُنظَرُ: محمد خطابي، لسانيات الخطاب، ص: 21.

(5) - يُنظَرُ: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2003م، ص: 259.

4.1 التوابع:

هي الشواني المساوية للأول في الإعراب بمشاركتها له في العوامل، والمراد بالشواني: الفروع في استحقاق الإعراب؛ لأنها لم تكن المقصود، وإنما هي من لوازم الأول كاللتمة له⁽¹⁾، وهي في النحو العربي: العطف والبدل والنعته والتوكيد، وهي لشدة ارتباطها يُعدُّ بعضها مع متبوعها كالكلمة الواحدة، فهي عناصر يجمعها جامعٌ من سمت المتتابعات برابط دلالي في التركيب، تبعاً لمقتضيات الحال والمقام للموقف النفسي الذي يحدده السياق.

5.1 الوصل والفصل:

هي عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص، لذا فقد فرَّع هاليداي ورقية حسن هذا المظهر من مظاهر التماسك إلى: إضافي؛ تمثله حروف العطف (الواو و أو) في العربية، أو استخدام الربط بألفاظ تدل على الشرح والتمثيل، وعكسي؛ يمثله في العربية التضاد والتناقض والاستدراك، وكل ما يدل على عكس ما هو متوقع أو ما هو مغاير للسابق المذكور، وسببي؛ يمثله العلاقات المنطقية بين الجمل، ببيان السبب والنتيجة، وزمني؛ يمثله التتابع الزمني في الجمل، وإن تماثلت وظيفة الأدوات الرابطة فإن معانيها داخل النص مختلفة⁽²⁾.

6.1 حروف الجر:

حروف الجر هي أدوات تستخدم لربط أجزاء الكلام ببعضه ببعض؛ حتى تتضح تفاصيل المعنى؛ لذلك فإن لها قيمة دلالية سياقية نصية تظهر من خلال توظيفها في النصوص، وتُعدُّ حروف الجر حروف ربطٍ وِصلي؛ لأنها تربط ما بعدها بالحدث الكامن في الفعل قبلها⁽³⁾، أو تجر معاني الأفعال إلى الأسماء ولهذا سميت حروف إضافة⁽⁴⁾، وقد أثبت كثير من العلماء العرب وظيفة الربط للحروف عامة، ولحروف الجر والعطف خاصة⁽⁵⁾.

7.1 أدوات الشرط:

الشرط هو « وقوع الشيء لوقوع غيره⁽⁶⁾ وقيل: « تعليقُ شيءٍ بشيءٍ، بحيث إذا وُجدَ الأول وُجدَ الثاني⁽¹⁾، الثاني⁽¹⁾، وفي هذا الارتباط دلالة على الخاصية الربطية الذي تقوم به الأدوات الشرطية في أسلوب الشرط من

(1) - يُنظَرُ: موفق الدين ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، تح: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، 2001م، 218/2.

(2) - يُنظَرُ: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 23-24.

(3) - يُنظَرُ: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، لبنان ناشرون، بيروت، ط/1، 1997م. ص: 175.

(4) - يُنظَرُ: فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، عمان، الأردن، ط/1، 2000، ص: 5.

(5) - يُنظَرُ: جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 17/2 وما بعدها.

(6) - يُنظَرُ: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، كتاب المقتضب، تح: محمد عبدالحق عظمة، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1994م، 45/2.

جهة؛ حيثُ تربط هذه الأدوات بين طرفي الجملة التركيبية، سواءً أكانت جازمة أم غير جازمة، والجملة الشرطية ذاتها من جهة أخرى؛ حيث يتحقق فيها معنى الشرط بتضمينها علاقة منطقية بين حدثين تنبني أساسًا على علاقة السببية⁽²⁾.

2. آليات التماسك الشكلي المعجمية :

1.2 التكرار (Reiteration) :

يتمثل التكرار في إعادة عنصر معجمي ما، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرًا مطلقًا، أو اسمًا عامًا، مثل: تكرار الحروف أو الكلمات أو العبارات أو الجمل والفقرات أو القصص والمواقف، وسواء أكان التكرار بذات الكلمة، أم باستعمال المكونات الأساسية لها مع نقلها إلى فئة كلمات أخرى⁽³⁾، وهناك نوع من التكرار يعرف باسم الموازة، ويقصد به: "تكرار أشكال الإخراج ذاتها في ظاهر النص، مع شغلها بتعبيرات مختلفة"⁽⁴⁾

2.2 التضمّن (Collocations) :

ذكر هاليداي ورقية بأنه أداة من أدوات التماسك المعجمية، تتمثل في توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة؛ نظرًا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك، ويدخل في ذلك المصاحبة المعجمية التي تعني ارتباط كلمة ما بمجموعة من الكلمات ضمن علاقات معينة منها: علاقة التضاد، نحو: موت- حياة، وعلاقة التخالف، نحو: عطشت- رويت، والتدرج التسلسلي، وعلاقة الجزء بالكل، وعلاقة الجزء بالجزء، وعلاقة التلازم الذكري⁽⁵⁾.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أنّ التماسك الشكلي له درجات، تتوقف على عدد الوسائل المستخدمة، فكلما زاد عدد وسائل الربط ارتفعت درجة التماسك في النص، ومن ثمّ يصبح الكلام أكثر نصيّة، والعكس صحيح.

المطلب الثاني: وسائل التماسك الدلالي (Coherence) :

التماسك الدلالي هو تماسك أجزاء النص دلاليًا، من خلال العلاقات الجامعة بين أطرافه، والرابطة بين متوالياته بشكل غير ظاهر؛ من أجل بيان النظام الذي يتحكم بعناصر النص مجتمعة، ومن ثمّ منحها صفة

(1) - يُنظَر: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، ص: 166.

(2) - يُنظَر: مولاي مروان العلوي، الشرطيات في لسانيات الخطاب: دراسة في ضوء المنطق والدلالة الصورية، ص: 10.

(3) - يُنظَر: محمد خطاب، لسانيات النص، ص: 24.

(4) - إلهام أبو غزالة، وعلى خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 87.

(5) - يُنظَر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 25.

العقلانية، فكل نصّ يتبع نوعاً معيناً من الترتيب المنطقي، الذي تتحقق به استمرارية الدلالة المتولدة عنه، فهو "يختص بالاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"⁽¹⁾، ويمكن أن يوصف بأنه الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار التي تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية الخطاب ربطاً منطقيّاً.

ويؤكد محمد خطابي أن الانسجام أعمُّ من الاتساق وأعمقُ، "بحيث يتطلب بناء الانسجام من المتلقي صرفَ الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده"⁽²⁾، فالمتلقي هو من يستخلصها من الخطاب عن طريق تخزين واسترجاع البيانات الدلالية التي يتضمنها هذا النص⁽³⁾، وهذا يشير إلى أن بعضها قد يكون في النص فعلاً، وبعضها يحيل عليها عن طريق السياق الخارجي.

وبناءً على هذا فإن الانسجام يعتمد على عمليات ضمنية غير ظاهرة، يُوظفها المتلقي لقراءة النص وبناء انسجامه؛ مثل:

1. **السياق:** إذ تُعد معرفة السياق الذي يظهر فيه النص حاسمةً في تأويل المتلقي، فالسياق يَحصر مجال التأويلات الممكنة، ويَدعّم التأويل المقصود، وهو يشمل المتكلم أو الكاتب، والمستمع أو القارئ، والزمان والمكان، ويحتل دوراً حاسماً في تواصلية الخطاب، وفي انسجامه بالأساس⁽⁴⁾.

2. **مبدأ التأويل المحلي:** حيث يُعد هذا المبدأ تقييداً لتأويل المتلقي من خلال خصائص السياق، فالمتلقي لا ينتج تأويلاً بعيداً عن السياق، ما دام السياق لا يُقدّم مؤشراً لتأويل آخر، فمثلاً في قولنا: ذهبْتُ إلى بيت الأسرة، وتحدّثت مع الأب، يفرض مبدأ التأويل المحلي أن الأب هو أب الأسرة التي ذهبتُ إليها، وليس أب أسرةٍ أخرى، فالمتلقي هنا لا يفترض تأويلاً لا يدل عليه السياق⁽⁵⁾.

3. **مبدأ التشابه:** يقوم هذا المبدأ على تشابه النصوص، وتراكم تلقّيها عند المتلقي؛ حيث يصبح بإمكانه أن يفترض أو يتوقع تأويلاً ما لنصّ معين، انطلاقاً من استحضار تلقّ سابقٍ لنصّ آخر، "فتراكم التجارب (مواجهة المتلقي للخطابات)، واستخلاص الخصائص والمميزات النوعية من الخطابات - يقود القارئ إلى الفهم والتأويل؛

(1) - سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مصر، مج: 10، ع: 2.1، يوليو-أغسطس، 1991م، ص: 154.

(2) - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 5-6.

(3) - يُنظَر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة: 164، الكويت، أغسطس 1992م، ص: 260.

(4) - يُنظَر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 52 وما بعدها.

(5) - يُنظَر: المرجع السابق، ص: 56، ج. ب. براون وج. ب. برون، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفى الزليطني - محمد التركي، منشورات جامعة الملك سعود، 1997م، ص: 233.

بناءً على المعطى النصي الموجود أمامه، ولكن بناءً أيضاً على الفهم والتأويل في ضوء التجربة السابقة؛ أي: النظر إلى الخطاب الحالي في علاقته مع خطابات سابقة تُشبهه، أو بتعبير اصطلاحى: انطلاقاً من مبدأ التشابه⁽¹⁾.

4. **التغريض:** يعتمد مبدأ التغريض على استناد المتلقي ثيمة النص من أجل تكوين تأويل معين، ولو كان تأويلاً أولياً، والثيمة: هي بداية قول ما، فقد تكون العنوان أو جملة البداية...، ولها تأثير في تأويل المتلقي، فإذا تغير مثلاً عنوان نص أو خطاب ما، فقد يتغير تأويل المتلقي له تكيّفاً مع العنوان الجديد⁽²⁾.

5. **المعرفة الخلفية:** حيث تعتمد على زاد القارئ والمتلقي المرتبط بالنص نوعاً وشكلاً ومضموناً، وغير ذلك⁽³⁾.

ويقسم التماسك الدلالي إلى قسمين:

1. التماسك الدلالي الطولي: هو ينظم العلاقة بين المفاهيم والقضايا داخل النص من خلال العلاقات الدلالية التي تربط بين مكوناته، و "يمكن أن تركز على الدلالات، وهي العلاقات الداخلية، أو على الروابط بين العناصر المشار إليها، أو المدلول عليها في الخارج، وهي علاقات الامتدادات الخارجي"⁽⁴⁾، وبهذا يكون التماسك الدلالي الطولي "خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى"⁽⁵⁾. ومن أهم هذه العلاقات:

1.1 **التفصيل بعد الإجمال:** ويسمى تفصيل الجمل؛ و يمثل دوران المعاني وتكررها لتشبيتها في الذهن، مرة بالإجمال، ومرة بالتفصيل؛ فهو: "إيراد معنى على سبيل الإجمال، ثم تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه"⁽⁶⁾، فنجد المعاني تتوالى في النص، وما يوضحها ويبينها إلا التفصيلات التي تأتي بعدها، إذ تكون الدلالة الأولى مكثفة، وتأتي الأخرى مفصلة لها، وهنا يكون التماسك.

2.1 **السببية أو التعليل والنتيجة:** هي علاقة تظهر بيان السبب، فهي علاقة تربط بين مفهومين أو حدثين، أحدهما ناتج عن الآخر⁽⁷⁾؛ كأن يأتي المتكلم بمعنى، ثم يردف بمعنى مبين لسبب المعنى الأول وعلته؛ وهذا

(1) - محمد خطاي، لسانيات النص، ص: 58.

(2) - يُنظَر: المرجع السابق، ص: 59.

(3) - يُنظَر: المرجع السابق، ص: 61.

(4) - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 261.

(5) - المرجع السابق ص: 263.

(6) - جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، ص: 146.

(7) - يُنظَر: المرجع السابق، ص: 142.

يعني: أن "الكاتب لا يتعامل منطقيًا بذكر سببٍ ما أو نتيجة ما إلا على مستوى الأفكار العامة والقضايا الكبرى. فقد شُغِل أثناء كل قضية منفصلة باستقصاء جزئياتها وعناصرها بشكل تراكمي، ثم إنه يفسر منطقيًا سبب وجود هذه العناصر ككل، أو ما قد تؤدي إليه من وجود عناصر أخرى في قضية كبرى"⁽¹⁾. ومن المعروف أن السبب يرتبط دلاليًا بالمسبب عنه، وهو ارتباط تلازمي بالضرورة، فلا يمكن أن يوجد السبب من دون المسبب، وهذا ما يعطي هذه العلاقة مزية الربط المنطقي.

3.1 التفسير والتوضيح: هو أن يرد في النص معنى ما فيه غموض أو خفاء، ثم يُؤْتَى بعده بمعنى آخر بمثابة توضيح للأول وبيان له؛ وعلامتها: "أن يصح تأويلها بعبارة: أي أن المقصود كذا، فإذا صح هذا التقدير كان ذلك دليلًا على أن الجملة الثانية تفسيرٌ لمضمون الأولى"⁽²⁾.

4.1 العموم والخصوص: حيث يعرّف العام بأنه: "لفظ دال على جميع أجزاء ماهية مدلوله"⁽³⁾، والخاص هو "قصر العام على بعض أجزائه"⁽⁴⁾.

5.1 التضاد أو الثنائية الضدية: تميز هذه العلاقة صور التقابل والتناظر أو الصراع والتجاذب والتوتر الناتج عن تناطح كتلتين أو نزعتين في الإنسانية⁽⁵⁾، وتعد هذه العلاقة من أهم الوسائل المولدة لدينامية النص.

6.1 الموقفية: هي علاقة دلالية تداولية تربط بين الموقف بما يتضمنه من متكلم وسامع والصورة التعبيرية للنص، "فالنص إذا كان له طابع الانفعال كانت الجمل قصيرة منفصلة بعضها عن بعض، فليس بين الجملة وأختها رابط"⁽⁶⁾.

7.1 السؤال والجواب: هي علاقة تقوم بدور فاعل في بناء الحوار الداخلي للنص عبر التساؤلات والاستفهامات.

إن الكشف عن هذه العلاقات في أي نص يستدعي فهم كل جُملِهِ، وعلاقة مضمونها بمضمون ما قبلها وما بعدها، وارتباطها بمضمون النص، وكل نص تحكمه شروط الإنتاج والتلقي لا بد أن تحكمه هذه العلاقات، وإن

(1) - حسام أحمد فرج، علم النص رؤية منهجية في بناء نص نثري، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، 2008م، ص: 144.

(2) - تمام حسان، البيان في روائع القرآن، الهيئة المصرية للكتاب، 2003م، 409/1.

(3) - مصطفى السعدني، مدخل إلى بلاغة النص، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1994م، ص: 53.

(4) - المرجع السابق نفسه.

(5) - يُنظَرُ: عبد الحميد هيمة، علامات الإبداع في الشعر الجزائري، مطبعة هومة، سطيف، ط/1، 2000، ص: 16.

(6) - تمام حسان، العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني، مجلة الدراسات القرآنية - مركز الدراسات الإسلامية بكلية الدراسات

الشرقية والإفريقية بلندن، مج/3، ع3، 2001م، ص: 117.

كانت درجة وجودها متفاوتة من نص إلى آخر؛ فلكل نص خصوصيته، ومساره الذي يسير به، غير أن مالا يمكن تجاهله هو إسهام هذه العلاقات بشكل كبير في سهولة فهم النص فهمًا منطقيًا.

2. التماسك الدلالي الكلي: يتحقق من خلال النظرة الكلية للنص في إطاره المقامي والمقالي بكل محتوياتهما، وصولًا إلى البنية الدلالية الكبرى للنص، التي "تمتاز بطبيعة شمولية، وبطابع كلي، وبأبعاد إطارية"⁽¹⁾.

وهذه البنية تمثل موضوع النص؛ (بؤرة النص) التي توحد، وتكون الفكرة العامة والأساسية له، الذي يعتمد تحديده على الفهم الكلي من قبل القارئ انطلاقًا من القصد التواصلية الذي يتبعه الكاتب ويخمنه القارئ، تساعده في ذلك عدة أمور من أهمها: البنية اللغوية للنص المتمثلة في المفردات مقترنة بالمعاني النحوية، ثم عتبات النص كالعنوان الذي يمد القارئ بشفرة تفكيك النص؛ فيكون ما نحمله في ذكرتنا بعد قراءة النص هي تلك العناصر التي تمثل موضوع النص⁽²⁾.

وقد أضاف الدارسون إلى مفهوم الخطاب مفهوم التخاطب، الذي يقتضي: "اشتراك اثنين في العملية بخاصة النص الشعري بوصفه خطاب الأصوات، ويظهر من خلال حوارية مقطعية داخلية بحيث يسهم كل مقطع في علاقته بسائر المقاطع في بناء موضوع الخطاب"⁽³⁾.

وهكذا فإن المتلقي ينزع إلى فهم النص وتأويله من خلال تنامي الأفقي أولاً، ثم تحديد مدى الترابط بين هذه المتتاليات دلاليًا، بين هذا وذاك يقوم المتلقي بعمليات ذهنية تمكنه من ملء الفراغات التي تتخلل النص؛ لأجل إقامة الترابط بين أجزائه ومكوناته.

ولا بد من الإشارة إلى أنه لا يعني نحو النص إلغاء نحو الجملة، بل إنه يركز على: "التراث النحوي بكل ما يضمنه من تصورات، ومفاهيم، وقواعد، وأشكال وصف، وتحليل، وغير ذلك"⁽⁴⁾.

(1) - صبحي الطعان: بنية النص الكبرى، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد الثالث والعشرون، العددان الأول والثاني، يوليو سبتمبر، أكتوبر ديسمبر، 1994م، ص: 437.

(2) - يُنظَر: عزة شبل، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، ط/1، 2007م، ص: 191.

(3) - محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 277.

(4) - سعيد مجري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر-لوجان، ط1، 1997م، ص: 134.

- المطلب الثالث: صور التماسك النصي الشكلي في قصيدة مزايا مصراتة للشيخ مفتاح قريو

يتحدث الشاعر في قصيدته عن مشاعره تجاه مدينته مصراتة، وقد نظمها على بحر الطويل.

أولاً صور آليات التماسك الشكلي في القصيدة :

1. صور آليات التماسك الشكلي النحوي في القصيدة :

1.1 الإحالة بالضمير :

الضمير اسم مبهم يفتقر إلى اسم غيره؛ ليزيل عنه هذا الإبهام، ويستخدم الضمير في النص بدلاً من هذا الاسم الظاهر المصرح به، أو غير المصرح به، وهو ما يكسبه وظيفة الربط، وقد عدّه القدماء الأصل في الوظيفة؛ فدرسوا أثره في الربط وتعدد مرجعيته وأشكاله وترتبته⁽¹⁾، والربط وسيلة من وسائل التماسك النصي؛ لذا اهتم به النصيُّون، وعدُّوه من الأدوات التي لا غنى عنه لأي نظرية في الإحالة⁽²⁾.

فإن صُرِّحَ بالعنصر الإشاري (ما يعرف في نحو الجملة باسم مرجع الضمير) قبلاً كانت الإحالة قبلية، وإن كان التصريح به بعده كانت الإحالة بعدية⁽³⁾، حيث يشير ضمير الغيبة إلى سابق، وضمير الشأن إلى لاحق، أما ضمائر المتكلم والمخاطب فتحيل إلى خارج النص عادة، إلا في النص السردى حيث إنه قد يجد لغويًا⁽⁴⁾.

وقد انتشرت الضمائر انتشارًا مكثفًا في نص القصيدة؛ إذ بلغ عدد ضمائر الغيبة ستة وستين ضميرًا بين متصل ومستتر، في حين كانت ضمائر المخاطب ثلاثة ضمائر، والمتكلم اثنان فقط. وبلغت العناصر الإشارية المذكورة في النص عشرة عناصر، تصدرها العنصر الإشاري (مصراتة)، حيث بلغ عدد الضمائر المحيلة عليه خمسة وأربعين ضميرًا، أربعون مرة كان فيها الضمير متصلًا (هاء الغيبة)، مابين إحالة ذات مدى قريب لا توجد بينها وبين العنصر الإشاري فواصل تركيبية جُمليَّة، وإحالة ذات مدى بعيد؛ تلك التي تجري متباعدة في فضاء النص، وهذا ذكرها تصاعديًا من قريبة المدى إلى بعيدة المدى: (جمال/ها، ذكرا/ها، خصال/ها، ل/ها، رمال/ها، زيتون/ها، جبين/ها، سواد/ها، ورد/ها، خال/ها، حال/ها، قبال/ها، جمال/ها، شذا/ها، رياح/ها، شمال/ها، منظر/ها، ظلال/ها، نسيم/ها، زلال/ها، ل/ها، مناخ/ها، رجال/ها، نضال/ها، إلي/ها، ب/ها، أرض/ها، خلال/ها، في/ها، إذ/ها، أرض/ها، مجال/ها، صفات/ها، كمال/ها، غير/ها، خيال/ها، دلال/ها، وصال/ها، إلي/ها،

(1) - يُنظَرُ: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1991م، 573/2، وما بعدها، ابن يعيش، شرح المفصل، 84/3.

(2) - يُنظَرُ: ج. ب. براون وج. يول، تحليل الخطاب، ص: 256.

(3) - يُنظَرُ محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 209 وما بعدها.

(4) - يُنظَرُ محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 18.

محال/ها). أما الضمائر المستترة فوردت خمس مرات في الأفعال: (تلبس، لبست، لبست، أنجبت، أنجبت)؛ وبهذا يمثل العنصر الإشاري (مصراتة) بؤرة دلالية هامة، ومخوفا مركزيا تمت الإحالة عليها بهذا الكم من الضمائر، وهو ما أكسبها استمرارية فاعلة على سطح النص، يخلق تماسكاً، ومن ثم حضوراً بارزاً في ذهن المتلقي، وتجلياً مدهشاً من بداية القصيدة إلى نهايتها.

العنصر الإشاري الثاني كان: (القلب)، وقد أحيل عليه بثمانية ضمائر غيبية، خمسة منها مستترة في الأفعال: (يرضى، يتسلى، رأى، صار، يحن)، وثلاثة متصلة في الألفاظ: (فراق/ه، تهدي/ه، حزن/ه)، ثم توالى العناصر الإشارية والعناصر المحيلة عليها: (فؤاد/ي: وقد أحيل عليه بضمير الغيبة المستتر في الفعلين: هام، بغى)، (زروق: وقد أحيل عليه بضمير الغيبة المستتر في الفعلين: اختار، ثرى)، (وجه أرض: وقد أحيل عليه بضمير الغيبة المتصل بحرف الجر: علي/ه)، (صفاء سوادها: وقد أحيل عليه بضمير الغيبة المستتر في الفعل: يسحر)، (وجنات: وقد أحيل عليه بضمير الغيبة المستتر في الفعل: ترى)، (ما: وقد أحيل عليه بضمير الغيبة المتصل بحرف الجر: ب/ه)، (شمس النهار: وقد أحيل عليه بضمير الغيبة المستتر في الفعل: تستحي)، (منظرها: وقد أحيل عليه بضمير الغيبة المستتر في الفعل: يجلو)، (مينة: وقد أحيل عليه بضمير الغيبة المستتر في الفعل: تلوح)، (بوشعيفة: وقد أحيل عليه بضمير الغيبة المستتر في الفعل: جفا)، (معنى: وقد أحيل عليه بضمير الغيبة المستتر في الفعل: يرى)، وجميع هذه الضمائر تحيل على عناصر إشارية سابقة؛ فتكون الإحالة قبلية، تفهم من دون اللجوء إلى السياق، وتكرارها يشير إلى أن هناك ذاتاً مستمرة وحاضرة في النص بقدر وجود الإحالة، وهو ما يسهم في كشف غرض الشاعر ومقاصده، خصوصاً إذا كان المدى بين عنصري الإحالة طويلاً.

وتنوع الإحالات في النص تحوله إلى سلسلة من التحويلات الضمائية، تعمل على تعليق ذهن المتلقي وشغله بصفة دائمة بما يواجهه من ضمائر تدفعه إلى ملاحقة عناصرها الإشارية، وهذا نمط من أنماط التماسك النصي.

أما ضمائر المخاطب في القصيدة فتلاثة اثنان منها ضميران متصلان، وهما تاء الفاعل المخاطب المتصلة بالأفعال: (شئت، عجزت)، وضمير واحد مستتر، تقديره (أنت) في الفعل: (تبلغ)، في حين ورد في القصيدة ضميران متصلان فقط للمتكلم، هما (ياء المتكلم المتصل) بالاسم: (فؤاد/ي) و(تاء الفاعل المتكلم) في الفعل: (نُقِلْتُ)، وحين البحث عن العنصر الإشاري الذي تحيل عليه كل من ضمائر الخطاب أو المتكلم، نلاحظ أنه خارج النص؛ فضمائر الخطاب في النص هنا تحيل على المتلقي عامة، أما ضمائر التكلم فهي تحيل على ذات الشاعر؛ وتسمى هذه الإحالة "إحالة مقامية"، وهي إحالة تعتمد على السياق ومقتضى الحال، فهي وإن كانت تزيد من درجة التلقي عند المتلقي إلا أن تأويلها في عالم النص سيحتاج تركيزاً على عالم الموقف

الاتصالي لهذا العالم النصي، وتتطلب من المتلقي أن يلتفت إلى خارج النص؛ حتى يعرف المحال عليه؛ إذ إنها: "عنصر لغوي إحصائي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي"⁽¹⁾.

ولا يعد هاليداي الإحالة المقامية من وسائل تماسك النص؛ بل يرى أنها تسهم في تكون النص؛ لأنها تربط بين اللغة والسياق⁽²⁾.

2.1 حروف العطف: هي من أبرز الروابط الوصلية المنتشرة على سطح النص، فهي مؤشرات لغوية يعتمد عليها التماسك السطحي في ربط المتواليات بعضها ببعض، والسماح للوحدات البعيدة بالتقارب والاتصال.

وقد وظف الشاعر في بنية قصيدته من الحروف العاطفة حرفي: (الواو، والفاء) فقط، ومثلت الواو النسبة الأعلى وروداً، وجاء كلا الحرفين بأنماط متعددة؛ إذ ربطت بين المفردات، وبين المفردات والجملة، وبين الجملة والجملة، ومن أمثلة الربط بين المفردات: (هام بذكراها وذكر خصالها/زيتونها والنخل/ مباسم وجنات / صبا ودبور والجنوب/ أهل علم وحكمة وشعر وأبطال/ أرضها ومجالها/ بكرة وعشية/ رجعة وسكنى).

ومن المعروف نحوياً أن الواو تعمل على إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول، فهي تربط بينهما مع غياب الدليل أيهما الأول، بل لمجرد الجمع بينهما⁽³⁾، فتكون العناصر كلها صادقة، مشكلة لوحة من الإضافات الفسيفسائية تشرك القارئ بكل سهولة في فك شفرة ملاحظها.

ومثال الربط بين جملتين اسميتين:

وجه أرض لها – و – زيتونها والنخل فوق جبينها.... – و – أعين أعناب ...

ميزة معروفة لها – و – فكم أنجبت....،

ومثال الرابطة بين جملتين فعليتين وهو النمط الغالب في القصيدة:

- بغى مصراة لجمالها – ف – هام بذكراها.
- والعطف بالفاء يفيد الترتيب والتعقيب، فالطلب والهيام متعاقبان فلا مهلة بين الابتغاء والهيام، كلاهما متسق بعضه إثر بعض، فهي "توجب أن الثاني بعد الأول، وأن الأمر بينهما قريب"⁽⁴⁾.

(1) – الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 119. ويُنظَر: صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 41/1.

(2) – يُنظَر: محمد خطاي، لسانيات النص، ص: 18.

(3) – يُنظَر: بن هشام، معني اللبيب، 408/2 وما بعدها.

(4) – المبرد، كتاب المقتضب، 148/1.

- غدا يسحر الأبواب بعد انتشارها – و – تلمع من بعد مباسم وردها، وقد أتاح مطلق الجمع بالواو الربط بين أشتات دلالية متباعدة على المستوى السطحي وهو ما يسمح: "بتوليد مستوى تجريدي غائر، هو القادر على تبرير الوصل في البنية العميقة للجملة الشعرية"⁽¹⁾.
- وتلمع من بعد – ف – تلبس من حلي الفواكه – ف – فإن لبست خضر الثياب.
- فإن لبست – ف – شمس النهار.
- فإن لبست – و – إن لبست.
- يجلو عن القلب حزنه – و – يشرح فكر المرء – و – يشفي من الأسقام.
- أتى إليها بوشعيفة – و – حل بها زروق.
- حل بها زروق – ف – اختار أرضها.
- عجزت – و – لم تبلغ.
- أوى القلب – و – لا يتسلى – و – صار – و – قد من.

يلاحظ من خلال الربط بين الجمل الفعلية درجة الاختزال العالية التي يكتسبها النص، وإظهار تعاقب الأحداث وتتابها وبروز شحنة العاطفة القوية بتصاعد المد الانفعالي لدى الشاعر؛ وهذا لاشك يُعدُّ علامة اتساق وتماسك أساسية في النص.

2. صور آليات التماسك الشكلي المعجمية في القصيدة :

1.2 التكرار:

يُعدُّ التكرار من أبرز آليات التماسك المعجمية التي لها دور جوهري في توحيد أجزاء النص وتوحيده، وهي تشمل إعادة اللفظ أو الجملة أو الفقرة، سواء أكانت الإعادة باللفظ ذاته، أو بمرادفه، أو بشبيه مرادفه، أو بالاسم الشامل، أو بالكلمات العامة التي يندرج تحتها⁽²⁾.

والتكرار المسهم في تماسك النص هو المالك لـ "نسبة ورود عالية في النص تجعله يتميز عن نظائره، وأن يساعدنا رصده على فك شفرات النص، وإدراك كيفية أدائه لدلالته"⁽³⁾.

(1) - صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص 161.

(2) - يُنظَر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 24.

(3) - يُنظَر: صلاح فضل، إنتاج الدلالة الأدبية، ط 1، مؤسسة المختار، القاهرة- مصر، 1987م، ص 257.

ومن خلال القصيدة -مجال الدرس- نلاحظ توالي ضمير الغيبة أداة الإحالة السابق ذكرها ذات الكثافة الدلالية العالية، وهذا التوالي يدخلها في دائرة التكرار الذي تعود مفرداته إلى نقطة واحدة، وتلح عليه بالإضافات التعبيرية.

ومن التكرارات أيضا تكرار لفظ القلب في قوله:

ومنظرها يجلو عن القلب حزنه ويشرح فكر المرء فيء ظلها

وقد قيل فيها: إنها قلب ليبييا لمعنى يرى في أرضها ومجالها

فذلك لما أن نقلت لغيرها أبي القلب أن يرضى فراق خيالها

وهذا تكرار بذات اللفظ ويسمى في نحو النص بالتكرار الكلي، وقد ورد في مستهل القصيدة لفظ (فؤاد) وهو تكرار بالمرادف، ويسمى تكرارًا معنويًا حيث يقول:

فؤادي بغى مصراة لجمالها فهام بذكرها وذكر خصالها

وتكرار لفظ: (أرض) في قوله:

لها وجه أرض مثل شمس مضيئة عليه جمال من بياض رمالها

وحل بها زروق فاختار أرضها له موطننا حتى ثرى في خلالها

وقد قيل فيها: إنها قلب ليبييا لمعنى يرى في أرضها ومجالها

يشمل النص أيضا على تكرارات قصيرة المدى مثل تكرار الفعل (لبست) بلفظه، وتكراره مرة بصيغة المضارع ومرة بصيغة الماضي، وتكرار جمع ثوب: ثياب وأثواب في قوله:

فتلبس من حلي الفواكه فوق ما يوفى به التعبير عن شرح حالها

فإن لبست خضر الثياب لدى الشتا فشمس النهار تستحي من قبالتها

وإن لبست أثواب زهر بغيره لها نظرة خجلانة من جمالها

وتكرار الفعل (أنجبت) في قوله:

لها ميزة معروفة في مناخها تلوح على من أنجبت من رجالها

فكم أنجبت من أهل علم وحكمة وشعر وأبطال فنوا في نضالها

وتكرار لفظ: (رجعة) في قوله:

وصار يحن بكرة وعشية إلى رجعة تهديه حلو وصالها

وقد مَنَّ مولانا الكريم برجعة إليها وسكنى في أعز محالها

وتكرار لفظ: (ورد) بمرادفه (زهر) وهو تكرار معنوي في قوله:

وتلمع من بعدٍ مباسم وردها ووجنات رمان ترى فوق خالها

وإن لبست أثواب زهر بغيره لها نظرة خجلانة من جمالها

وهكذا نلاحظ من هذا التحليل أن القصيدة قد جاءت كسلسلة تشد حلقاتها بعضها ببعض، الأمر الذي

يمكننا من الحكم بتحقيق التماسك والتلاحم النصي عبر المستويين الشكلي والدلالي.

2.2 التضام:

تنوعت العلاقات الرابطة بين الأزواج المصاحبة في القصيدة تنوعاً عجيباً، وهو ما جعل النص شبكة نصية

متزامية الأطراف، وأهل هذه المتصاحبات لتأدية دورها في تحقيق ترابط النص واتساقه بعلاقات عديدة منها:

● علاقة التضاد:

قد حظيت علاقة التضاد في القصيدة بأعلى معدل وجود؛ فأسهمت في شد أواصر نسيج النص، وذلك

بخاصية الربط الكامنة فيه؛ حيث يستدعي كل لفظ نقيضه، فمن المعروف أنه إذا ذكر الضد فضده أقرب وروداً

للذهن، ومن أمثلتها: (بياض - سواد، الأرض - المجال، عجزت - لم تبلغ، بكرة - عشية، بعد - قرب، فراق -

الوصال)

● علاقة المشترك العام أو ما يسمى بعلاقة الاندراج في صنف عام: (فواكه: زيتون - نخل - رمان)،

(الورد: الزهر، الشذى، الرحيق)، (العين: النظرة).

● علاقة الكل بالجزء: (رأس: وجه، جبين، عين، ألباب، مباسم، وجنات، خال)

● علاقة الترادف: (فيء/ظلال، قلب/فؤاد، زهر/ورد، خصالها/خلالها)

● علاقة الظرفية: (النهار: الشمس).

● علاقة المكانية: (الأرض: الشمس، الرمال، زيتون، نخل، رمان، الشتاء، النهار، رياح، نسيم،

مناخ).

● التلازم الذكري: (شمس/نهار، شمس/فيء/ظلال، علم/حكمة/شعر، أرض/موطن).

- المطلب الرابع: التماسك الدلالي الكلي في قصيدة مزايا مصراتة للشيخ مفتاح قريو:

يكمن في الآتي:

1. الإجمال والتفصيل:

تتصدر القصيدة ثلاثة أفكار مجملة هي:

1.1 (التعلق بمصراتة لجمالها)، وقد عبر عنها الشاعر بقوله:

* فؤادي بغى مصراتة لجمالها *

وبغى: طلب، جاء في لسان العرب "بغى الشيء ما كان خيراً أو شراً يبغيه بُغَاءً وُبُغْيً (الأخيرة عن اللحياني) والأولى أَعْرَفُ: طلبه"⁽¹⁾، وقد ربط الشاعر الطلب بالمحبة والتعلق؛ لأن كل من يحب شيئاً يطلبه، ويرغب في قربه والاستحواذ به.

والفكرة المجملة فيها حالة اختزال وكمون كبيرين ما بين البنية والدلالة، فأغلب ما بعدها تفصيل لها، و"التفصيل يحمل علاقة المرجعية الخلفية الداخلية لما أجمل من قبل"⁽²⁾، فالقارئ حين يقرأ الجملة الأولى من القصيدة يتوقع أن ما سيأتي بعدها هو بيان لمواطن جمالها، وهذا ما حدث فعلاً؛ فالجمل اللاحقة بينت عددًا من مواطن الجمال، وما الأبيات التسعة بعدها إلا تعداد لمواطن الجمال:

- جودة الثمار: (الزيتون، النخل، الأعناب، الرمان، حلو الفواكه).
- توافر أسباب الترفيه: (الورد، الزهر، طيب الشذا).
- الطبيعة: (اخضرار الأرض في الشتاء، اكتساء الأرض بالزهر، تنوع الرياح، النسيم العليل، الفيء الظليل، الماء الزلال).

فمركز الثقل الجمل هو في عبارة (لجمالها)، تلاه تفصيل هذا الجمال الذي أدى إلى امتلاك مصراتة لفؤاد الشاعر؛ فكل هذه العبارات ماهي إلا تفسير وتمطيط وتحليل لكلمة (جمال) الواردة في أول القصيدة؛ وهو ما أكسب الجمل استمرارية دلالية إلى ما يقارب نصف القصيدة؛ ومن ثم إثبات للعلاقة الوثيقة الحلقات التي يتشكل منها النص الشعري، "فتتمكن بواسطة علاقة الإجمال والتفصيل من إدراك كيفية من الكيفيات التي يُبنى

(1) - ابن منظور، لسان العرب، مادة: (بغا)، 321/2.

(2) - صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 180/2.

عليها النص وينسجم⁽¹⁾، والقاريء حين يدرك مواطن الجمال في التفصيل يعود بذهنه للإجمال السابق، فتتلور الفكرة بأسس عديدة، هي: التكرار، والإحالة، والإجمال والتفصيل، وذلك مَكْمَنُ التماسك البديع.

وتجمع الفكرة الأولى هنا بين هذه المزية، ومزية جملة الاستهلال، وهي في التحليل النصي عادة ما تكون محورًا هامًا من محاور النص؛ الذي يتحرك في مجالها؛ إذ تتعلق الأجزاء الباقية منه بالجملة الأولى بوسيلة اتساقية ما؛ وهذا ما تم في قصيدة الشيخ قريو.

2.1 (عشق ذكراها)، وقد عبر عنها الشاعر بقوله:

فهام بذكراها

مما يربط الشاعر بمدينته ذكراها معه، أو ذكرياته معها، وجميعه معها تجعله يصل إلى مرحلة الهيام، وهو أعلى درجات الحب والتعلق؛ والذكرى.

وقد جاء تفصيل هذه الفكرة الجملة في نهاية القصيدة، وتحديدًا في الأبيات: التاسع عشر، والعشرون، والحادي والعشرون:

- عدم مفارقتها خياله حين نقل لمدينة أخرى (للدراسة والعمل).
- حنينه طوال الوقت للرجوع إليها.
- رجوعه إليها بعد طول اشتياق.
- الاستقرار بها.

3.1 (استذكار خصال مصراتة) وقد عبر عنها الشاعر بقوله:

وذكر خصالها

جاء تفصيل هذه الفكرة الجملة في وسط القصيدة، وتحديدًا من البيت الثاني عشر إلى البيت السابع عشر:

- لمناخها ميزة تلوح على رجالها.
- أنجبت رجالاً في جميع المجالات (علم، حكمة، شعر، مناضلون).
- لجأ إليها الفارون من الظلم فأمنوا واستقروا (أبوشعيفة).
- اختارها العلماء موطنًا (الزروق).
- أرضها ومجالها أهلاًها لتمتلك لقب (قلب ليبيا).
- اقتربها من الكمال يجعل من يريد إحصاء وصفها عاجزًا.

(1) - يُنظَرُ: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 270.

2. البنى النصية الكبرى:

حين نُخضع أيّ نصٍ لتحليلات نحو النص، فإن ذلك يترك "مساحة كبيرة من الحركة للمفسرين؛ لكي يقدموا من خلال عمليات تفكيك الأبنية اللغوية الفعلية، وتمثل أبنية دلالية كبرى تجمع بينها، وتخلق توالداً مستمرًا باختلاف النظر إلى أوجه التعالق بين الدوال والمدلولات، وعملية اختيار قائمة على اكتشاف مقاصد المنشيء، ثم إعادة ربط بين الجزئيات قائمة على خبرة المفسر وثقافته وتوجهه"⁽¹⁾.

وتتشكل البنى النصية في القصيدة (موضوع الدراسة) على النحو الآتي:

- على مستوى الرمز: حيث سار الشاعر في رمزه على عادة الشعر العربي في ربط الجمال بجمال المرأة وما يتعلق بها من عناصر؛ سواء أكانت عناصر مادية، أو نفسية تأثيرية، فشغل المجاز _ بين تشبيه واستعارة مكنية وبعض الترشيحات _ مساحة شاسعة من القصيدة؛ حيث جاء الوصف على محورين:
 - ✓ وصف جمال مصراتة.
 - ✓ وصف أثر هذه المدينة في النفوس.

ومن أمثلة عناصر المادية (الجمال الظاهري)

الشموخ الفاتن ← رأس فتاة.

الشباب ← زمان اعتدالها.

اللباس الجميل ← (فإن لبست خضر الثياب، وإن لبست أثواب زهر).

الإنباب ← (تلوح على من أنجبت)، (فكم أنجبت)

مظاهر الجمال ← (سواد العيون، المباسم، الخال أو الشاممة، النظرة الخجلى، الدلال).

ومن عناصر الوصف النفسية التأثيرية:

(الهيام، سحر الألباب، الخجل، جلاء الحزن، انشراح الفكر، العجز عن الفراق، الوصال، الشفاء من الأسقام).

- على مستوى الحقيقة: حيث قدّم الشاعر عددا من الأفكار صراحة منها:

- ✓ التصريح باسم مصراتة.
- ✓ تتمتع مصراتة بطبيعة خلابة.

(1) - سعيد بجري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 112-113.

- ✓ تأسر مصراة قلب ساكنها فتزِيل حزنه، وتنير فكره، وتشفي سقمه؛ فلا يطيق فراقها.
- ✓ نُقِل الشاعر إلى غيرها ولم يستطع نسيانها؛ حتى مَنَّ المولى عليه بالعودة إليها.
- ✓ حل بالمدينة عدد من العلماء والأفاضل منهم: أبو شعيفة والزروق.

● على مستوى الرمز والحقيقة معًا:

حب الموطن فطرة بشرية، وانتماء غير محدود المدى يتولد في النفس، فيضحي كل ملمح في الموطن ثري الدلالة.

ومما يلحظ أيضًا أن تشكيل المعنى وإبرازه يعتمد على وضع الضمائر داخل النص إذ يسهم الضمير في التماسك الدلالي، حيث يحقق استمرارية دلالية لبعض الذوات والمفاهيم من خلال الإحالة عليها، الأمر الذي يساعد على تحديد البؤرة الدلالية داخل النص من خلال الكمية لهذه الضمائر، وما تحيل عليه، ومن ثم تحديد بنية النص الدلالية الكبرى⁽¹⁾.

نتائج البحث:

خلص البحث لعدد من النتائج، من أهمها:

- ارتفاع درجة النصية في القصيدة بواسطة عدد من آليات التماسك من أبرزها:
 - ✓ الإحالة بالضمير، حيث شكلت ملمحًا بارزًا في تصاعد النصية داخل النص.
 - ✓ التكرار بأنواعه (الكلي والجزئي والمرادف).
 - ✓ التضام، بعلاقات التضاد، والاندراسج في صنف عام، وعلاقة الجزء بالكل، والتضاد، والظرفية، والمكانية، والتلازم الذكري.
 - ✓ الربط بالأداة، المتمثلة في حرفي العطف: (الواو والفاء).
 - ✓ العلاقة الدلالية: (الإجمال والتفصيل)
- كانت البنية الكلية للقصيدة قائمة على ثلاثة أسس هي: (مستوى الرمز، ومستوى الحقيقة، ومستوى الرمز والحقيقة معًا).

(1) - يُنظَر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 161/1.



- قائمة المراجع:

أولاً: الكتب العربية:

1. الأزهر الزناد: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، المركز الثقافي العربي، 1993م.
2. إلهام أبو غزالة، وعلى خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفانج ديرسلر، ط 2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م.
3. تمام حسان: البيان في روائع القرآن، الهيئة المصرية للكتاب، 2003م.
4. جلال الدين السيوطي: الأشباه النظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
5. جميل عبدالمجيد: البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م.
6. حسام أحمد فرج: علم النص رؤية منهجية في بناء نص نظري، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، 2008م.
7. سعيد بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر-لوجمان، ط 1، 1997م.
8. صبحي الفقهي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2000
9. صلاح فضل: أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.
10. عبد الحميد هيمة: علامات الإبداع في الشعر الجزائري، مطبعة هومة، سطيف، ط 1، 2000م.
11. عبد الله بن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1991م.
12. عزة شبل: علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، ط/1، 2007م.
13. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث.
14. محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2003م.
15. محمد خطابي: لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط/1، 1991،
16. محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001م.



17. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: كتاب المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1994م.
18. مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 1997م.
19. مصطفى السعدني: مدخل إلى بلاغة النص، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1994م.
20. مصطفى عبد الرحيم أبو عجيبة: زاوية الإمام أحمد زروق، ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا، مصراتة، 2001م.
21. منذر عياشي: العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2004م.
22. موفق الدين ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، تح: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2001م.
23. مولاي مروان العلوي: الشرطيات في لسانيات الخطاب: دراسة في ضوء المنطق والدلالة الصورية.
24. فاضل السامرائي: معاني النحو، دار الفكر، عمان، الأردن، ط 1، 2000م.

ثانياً: الكتب المترجمة:

1. ج. ب. براونوجيول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني، محمد التركي، منشورات جامعة الملك سعود، 1997م.
2. روبرتديوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2007م.

ثالثاً: المعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف.

رابعاً: المجالات:

1. تمام حسان: العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني، مجلة الدراسات القرآنية - مركز الدراسات الإسلامية بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن، مج/ 3، ع 3، 2001م.
2. سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مصر، مج 10، ع 2.1، يوليو-أغسطس، 1991م.



3. صبحي الطعان: بنية النص الكبرى، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد الثالث والعشرون، العددان الأول والثاني، يوليو سبتمبر، أكتوبر ديسمبر، 1994م.
4. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة: 164، الكويت، أغسطس، 1992م.

خامساً: رسائل جامعية:

1. شريفة بلحوت: الإحالة دراسة نظرية، مع ترجمة الفصلين: الأول والثاني من كتاب (cohesion in English) لم. أ. كهاليدا يورقية حسن، ماجستير في الترجمة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2005م.

سادساً: المواقع الإلكترونية:

- موقع معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر، والعشرين.
http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=6905، الخميس: 19 يوليو
 2018م الساعة 10 مساءً.